سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (33)

ديوان

محمد بن الطيب الشرقي الفاسي

(1110 – 1170 هـ / 1698 – 1756 م)

بسم الله الرحمان الرحيم

لَقَد فُزنا ولِلَه الثناءُ

لَقَد فُزنا ولِلَه الثناءُ وأدركنا من المولى العَطاءُ

وأشرَفنا على حرمٍ أمينٍ له من كلّ ناحيةٍ يُجاءُ

ما إن يَعيبُكَ فَقدُ الحَليِ والحُلَلِ

ما إن يَعيبُكَ فَقدُ الحَليِ والحُلَلِ إن أنتَ بالهِمَمِ الشماءِ كنتَ مَلي

قد ضَلَّ مَن ظَنَّ أن المالَ يَدفعُ ما أوهى السؤالُ بعرضٍ فيه مُبتَذَلِ

لا باركَ اللَه بعدَ العرضِ في عَرضِ الدن يا ولا نِلتُ ما بالعِزِّ لم أنَلِ

ورُبَّ جاهلةٍ هَبَّت تُعاتِبُني أن كنتُ عَن غَمرِ عيشٍ موثِرَ الوشَلِ

قالت رأيتُكَ ذا قولٍ مُحَبرهُ أبهى منَ الروضِ غِبَّ الواكفِ الهَطِلِ

وفي الملوكِ لهُ كُفؤٌ فامّهُمُ حتى يعيدوكَ ذا خَيلٍ وذا خَوَل

ولستُ أصغي وإن لَجّتِ لِتَعدِلَ بي عن مَنهجِ الصونِ بالتَعتابِ والعَذَلِ

وإنّ مِن كرمي بُخلي بشعريَ في تفريظ ذي كرمٍ أو ذَمِّ ذي بَخَلِ

فلن تراني مُذيلا ما حييتُ لهُ في غيرِ ذكرِ الوَغى والأعيُنِ النُجُلِ

يَأبى إبائي وآبائي ويأنَفُ لي مجدٌ أنافَ ولم يَقنَع على زُحَلِ

نفسُ الكريم تعافُ الوردَ يَصحَبُهُ ذُلٌّ على ظما الجَوفِ مُشتَعِلِ

وإن سَلِموا من آفةٍ في طريقهم

وإن سَلِموا من آفةٍ في طريقهم يَعُدونَ هاتيكَ السلامة مأتَماً

وإن أزمَةٌ أزَمَتهمُ طَرِبوا لها وأمسَت لهم عُرساً عظيماً ومأتَماً

يوماً بفاسٍ فوي مَكناسةٍ زَمَناً

يوماً بفاسٍ فوي مَكناسةٍ زَمَناً وتارَةً في زوايا العَمِّ والخالِ

وبُرهَةً سَفَري صَفرو وآونةً تازا وطوراً أرى أفلي الفَلا الخالي

خلّياني من حاسدٍ أو شاني

خلّياني من حاسدٍ أو شاني   واتركاني لَقصدِي أو شاني

ودَعاني من الملامِ فَداعي   أحمدَ البَدوي إليه دَعاني

الإمامِ الذي تَفَرّدَ بالتص   ريفِ حيّاً وميتاً دونَ ثانِ

والهُمامِ الذي ثَنَيتُ له   الهِمّة والعَزمَ لستُ عنه بثان

قُطبِ كُلِّ الأقطابِ قاطبةً   فالكُلُّ في بابهِ رَخِيٌّ العِنان

أو ما جدُّهُ الرسول الذي من   أجلهِ كان سائرُ الأكوانِ

ألفُ ألفِ تحيّةٍ وصلاةٍ   وسلامٌ عليه دون توانِ

ما أقامَ الأنامُ في بابه   الرحب إلى فضلهِ العَميمِ ثواني

فإذا ما وصلتَ ذلكمُ الق   برَ الشريفَ المعظّمَ النوارني

ورأيتَ الأنوارَ ساطعةً في   ه يُحاكي لألاءَها النيرانِ

وجئتُ بكل ما أعيى وأعوَز

وجئتُ بكل ما أعيى وأعوَز أؤُمُّ به مقامَ الشيخ مَحرَز

وأنزِلَ عندَهُ آمالُ ركبِ الحج فلا يخافُ وليس يشأز

فإنّ مقامهُ في قُطرِ تازا لأدوارِ الرجا ما زال مَركَز

فيا مولى المواليّ هذا وفدٌ نوى البيتَ الحرامَ وما تَشَمّز

وأنتَ أمرتَ بالدعواتِ رَبّي وأنتَ أجلُّ مَن أنجى وأنجَز

فنَسألُ من نداكَ الرحبِ وصلاً إلى الحَرَمينِ توصيلاً مُعَزّز

بحق محمدٍ خيرِ البرايا وأفضَلِ من تسامى أو تَعَزّز

ومن فاقَ الأنامَ بلا اشتراكٍ وحازَ المجدَ أجمَعَهُ وأحرَز

عليه اللَه صلّى كلّ حينٍ وسلّم ما اثنثى غصنٌ وما اهتَز

ووالى بالرضى الأصحابَ طُرّاً وآل المصطفى والشيخَ محرَز

ألا في سبيل اللَه ضاعت قصيدَتي

ألا في سبيل اللَه ضاعت قصيدَتي وإن كان خيرُ الخَلقِ أبدى قبولَها

فيا لَيتَ شعِري هَل تُرَدٌّ لِفِكرَتي وأعلَمُ منها شعِبَها وقبيلَها

ألا ليتَ شعري هل أرى البيت مَعلَماً

ألا ليتَ شعري هل أرى البيت مَعلَماً وهَل أرِدَن يوماً على الري زَمزما

ومَن لي بحَجِّ البيت في خير معشرٍ حَدا بهمُ الحادي وغَنّى وزَمزَما

ومَن ل بأن أمسي على حُجُراتِهِ وأصبِحُ ممّن للمعالي به انتَمى

ومن لي بالخِلِّ الذي قد ألفِتهُ فنُدعى جهاراً أنتُما القَصدُ أنتُما

نطوفُ بذاكَ البيتِ طوراً وتارةً نُلِمُّ بهاتيكَ البِقاعِ فَنَلثُما

وآونة نأتي إلى الحجَر الذي سَما قَدرُهُ حتى تطاولَ للسّما

نُعَفِّر فيه الخَدِّ والوجهَ كلّهُ ولستُ أرى مِمّن يخُصُّ به الفَما

وطوراً نصلي ثم نَسعى إلى الصفا ليُصفي الفؤادَ المستهامَ المُتَيّما

ونُسرِعُ كي نَلقى المنى ولدى منى نُخَيِّمُ فيمن كان لليُمنِ خَيّما

ونَجني ثمارَ العُرفِ في عَرَفاتِهِ ونَغرِفُ منه الخيرَ غَرفاً مُعَمّما

ونَبرأ من كلِّ العقابِ إذا دَنَت عقاب جمارٍ تُحرِقُ الذَنبَ أينَما

ونُصبِحُ فيمن بَرّ للّه حَجُّهُ وأصبحَ في تلك الرياض مُنَعّما

وياليتَ شعري هل أرى طيبَةَ التي بها طابتِ الكوانُ نَجداً وأتهُما

وهَل تُبصِرُ القَبرالشريفَ محاجري فأصبحُ فيهِ مُنشِداً مترنِّما

أخاطبُه جهراً وأسألُ ما أشا وأرجو حصولَ السُّؤلِ منه متَمّما

ويُسعِدُني القولُ البليغُ فأنثَني إذا ما نَظَمتُ القولَ فيه تَنَظّما

وأرجِعُ مملوءَ الحقائِبِ عامراً بما شئتُ من علِمٍ وحِلمٍ وما وما

وتَخدمُني الدنيا وأصبح في غدٍ لدى رُتبةٍ شَمّاءَ في منزِلٍ سَما

تَحُفُّ بيَ الأملاكُ من كلِّ جانبٍ لدى جَنّةِ الفردوسِ فَوزاً مُعَظّما

فَتَربَحُ هاتيكَ التجارةُ كلُّها ويَغنَمُ مولاها ابتداءً ومَختَما

وأُهدي إلى خير الأنامِ مُحَمّدٍ سلاماً بِعَرفِ الطيّباتِ مُختّما

فلا تَعدِلوها أو تعجبوا من مَقالها

فلا تَعدِلوها أو تعجبوا من مَقالها فإنّ الذي قالت هُوَ الكَلِمُ الفَصلُ

لأنّ فِراقاً مثل هذا وحقّكُم وصالٌ لأنّ القَصدَ منهُ هو الوَصلُ

ألَم نَكُ فارَقنا البِلادَ وأهلَها لِوَصلِ الذي في الكائنات هوَ الأصلُ

عَلَيهِ صلاةُ اللَهِ ثُمّ سلامُهُ ورِضوانهُ ما اهتَزّ في المَعركِ النَصلُ

ونَظفرَ في أمِّ القرى بِمُنى القِرى

ونَظفرَ في أمِّ القرى بِمُنى القِرى ويُمسي القرا خِفّاً منَ الثقلِ والوِزرِ

وعند ضريح المصطفى نجدُ الوَفا بماءِ الصفا يَشفي منَ الإثم والوِزرِ

إذا شِئتَ أن تَلقى عدوّكَ راغِماً

إذا شِئتَ أن تَلقى عدوّكَ راغِماً وتَقتُلَه غمّاً وتُحرِقَهُ هَمّاً

فسامِ للعُلى وازدَد منَ العلمِ إنّهُ من ازداد عِلماً زادَ حاسدَهُ غَمّاً

حَمانا مِن مخوفِ الدهرِ بيتٌ

حَمانا مِن مخوفِ الدهرِ بيتٌ   له بالذكر أركانٌ وسَقفُ
مَحوطٌ بالسرور وبالتهاني   عليه البشرُ والإقبالُ وقفُ
نَزَلنا في فناءٍ منه رَحبٍ   به الآمالُ ليس بهِنّ خُلفُ
فأَرشَفَنا مِنَ الإكرام ثَوباً   يزيدُ على المدى طيباً ويَصفو
وألبَسَنا من الإكرام ثوباً   لهُ بالأمنِ والإسعافِ سُجفُ
يَصُدُّ عَدُوّنا الشيطانَ عَنّا   ويُتحِفُنا ملائكةٌ تَحفٌّ

وودّعتُهُم والعينُ تَهملُ كالعَينِ

وودّعتُهُم والعينُ تَهملُ كالعَينِ   وتُهمِل ما تُرجي السحابُ من العَينِ

وللقلبِ في نار الغرامِ تَقَلُّبٌ   ولم لا وعَنّي بان كلٌّ أخٍ عَينِ

فوا أسفاً للقَلبِ من شدة الأسى   ووا أسفاً من شدةٍ الحُزنِ للعَينِ

واجبُرهُ من كل كسرٍ واردُرَدَنّ عليهِ

واجبُرهُ من كل كسرٍ واردُرَدَنّ علي ... هِ بالمعارفِ يتلوها فيَنجَبِرُ

وافتَح عليه فُتوحَ العارفينَ وكُن ... له وليّاً فمن والَيتَ يَنتَصِرُ

واجعل بأعلى عُلا الفردوسِ منزلَهُ ... فضلاً فيزدادُ من جوارِكَ النَظَرُ

تلك الزيادةُ والحُسنى فلا عجبٌ ... إن نِلتُها بالذي سَمَت به مُضَرُ

صلّى عليه إلاهُ العَرش ما طَلَعت ... شمسٌ وما ازدهرت في الأفُق الزُهُرُ

يا ربِّ شَفِّعهُ فيّ واقبَل شفاعَتَهُ ... فجاهُهُ ربّنا لديكَ مُعتَبَرُ

وأنتَ قلتَ ولو أنّهُم وأنا ... قد جِئتهُ فأنا إليه مُحتَضِرُ

ولي مقاصدُ لا تخفى عليك وقد ... أبديتُ بعضاً وجُلُّ القصد مُستَتِرُ

فامنُن علينا وبَلّغنا مقاصِدَنا ... بأسرها ربِّ بَحرُ البرِّ مُستجِرُ

بادر إلى كتبِ الأمالي جاهداً

بادر إلى كتبِ الأمالي جاهداً   مِن ألسُنِ الحُفّاظِ والفُضلاءِ

فأجَلُّ أنواعِ الحديثِ بأسرها   ما يَكتُبُ الإنسانُ في الإملاءِ

فهناكَ يدنو الهَنا والسرورُ

فهناكَ يدنو الهَنا والسرورُ　　وتَتِمُّ المنى وتَنأى الشُرورُ

وأفوزُ بكلِّ خيرَ إذا ما　　قيلَ لي ذاكَ حَجُّهُ مَبرورُ

وإذا زُرتُ قبرَ خيرِ الوَرى　　طُرّاً عليه الصلاة تَمّ السرورُ

ومما سلاني عن هَواهُم وصدّني

ومما سلاني عن هَواهُم وصدّني وقد كنتُ مَغرىً بالهوى وهو دَيدَني

نفارُهُم مني ومن كل عاشقٍ عفيفٍ وهُم في طوعِ كلِّ يدي دَني

يا حسنَ بَيتِ اللَه ِوهو مُجَرّدُ

يا حسنَ بَيتِ اللَه ِوهو مُجَرّدُ ولنا لهَيبَةِ نورهِ إطراقُ

فكَسوهُ سوداً والقلوبُ تَوَدُّ لَو ضَمّت عليهِ سوادَها الأحداقُ

بدا لكَ الحقُّ فاقطع ظَهرَ بَيداءِ

بدا لكَ الحقُّ فاقطع ظَهرَ بَيداءِ واهجُر مقالةَ أحبابٍ وأعداءِ

واقصدِ على عَزمةٍ أرضَ الحجازِ تجدِ بُعداً عن الحَطِّ في نَزلِ الأوِدّاءِ

وقل إذا نِلتَ من أمِّ القُرى أرَباً وهوَ الوُصول بإسرارٍ وإبداءِ

يا مَكّةَ اللَهِ قد مَكّنتِ لي حَرَماً مُؤَمّناً لستُ أشكو فيه من داءِ

فَمُذ رأى النازحُ المسكين مَسكَنَهُ في قُطرِكَ الرَحبِ لم يُنكب بإيذاء

شوقُ الفؤادِ إلى مَغناكِ مُتّصِلُ شَوقَ الرياض إلى طلٍّ وأنداءِ

عينٌ ماضٍ بها عيونٌ مواضٍ

عينُ ماضٍ بها عيونٌ مواضٍ فاعلاتٌ فعلَ السيوفِ المواضي

والتفاتُ الغزال لمّا غَزالي صائِلاً صولَةَ الأسود المواضي

وقدود تَزهو إذا قدّتِ القَلبَ ازدهاءَ الأغصانِ بينَ الرياضِ

والجيشُ رواهُ من دعوتِهِ قَدَحٌ

والجيشُ رواهُ من دعوتِهِ قَدَحٌ   وأشبَعتهُ بذكر المصطفى ثُمُرُ

وكم له معجزاتٌ لا يُحاطُ بها   وكيف يُحصى الحصى والنجمُ والمَطرُ

وإذا إلاهُ الوَرى أثنى عليه فما   يقوله الخَلق إن قلّوا وإن كَثُروا

فيا رسول الإله كن شفيعَ فتىً   قد ضاع منه على لذّاته العُمُرُ

تتابعت منه عوراتٌ وما سكنت   روعاتُهُ وتوىل عندهُ النُكُرُ

قد قابل اللَهَ بالعصيان منهمكاً   في غَيِّةٍ إذ غَوَته النفسُ والشرُ

ما إن نهاهُ نُهاهُ لا ولا ورعٌ   قد راعهُ بل رعاه في الهوى عَوَرُ

أخطا وأخطَلَ في قولٍ وفي عَمَلٍ   ولم يُصِب في صالحاتٍ قط تُعتَبَرُ

وإن دَعَتهُ إلى الخيرات داعيَةٌ   ونى وإن تَدعُهُ للشرّ يبتَدِرُ

وإن ألّمت مُلِمّاتُ الزمانِ بهِ   دعا وإن كُشِفَت يستهوِهِ البَطرُ

أميرُه النفسُ والشيطانُ بينَ هوىً   يهوي به جَدٌّ تقواهُ ويعتَثِرُ

من ذا سواكَ لهذا العبد يرحَمُهُ يا خير من يَمّمَتهُ البدوُ والحَضَرُ

إن لم تكُن يا رسول اللَه تنقذُني مما اقترفت وإلا كيف أعتَذِرُ

حاشاكَ حاشاكَ يا مولايَ تُهمِلُني ولي إليكَ التجاءاتٌ ولي ضُرَرُ

ألا يا ابنَ عمِّ المصطفى وحَبيبَهُ

ألا يا ابنَ عمِّ المصطفى وحَبيبَهُ   وصاحبهُ ما إن لذلكَ ناكِرُ

ويا حَبرُ يا بحرَ العلوم الذي به   تلينُ أحاديثٌ وتبدو التَفاسرُ

ويا تُرجمانَ الذكر غيرَ مشارَكٍ   فكلٌّ امتدادٍ غيرُ مدك قاصرُ

ويا عابدَ اللَهِ الذي وافقَ اسمهُ   مُسَمّاهُ فهوَ في العبادة غامِرُ

ويا أيٌّها الرباني المُفرَدُ الذي   معارِفُهُ مثلُ البِحار زواخرُ

ويا صنوَ أكوامِ العُفاة ويا أبا ال   مساكينِ إنّي عند بابكَ صاغرُ

ويا واهبَ الآلافِ دون تريُّثٍ   فليس تُحاكيهِ العهادُ المواطِرُ

ويا قاضيَ الحاجاتِ من غيرِ مُهلَةٍ   لقاصِدِهِ بل للقضاءِ يُبادرُ

ويا ذا الكَراماتِ العظامِ التي لها   بوادي البَرايا أذعَنَت والحواضرُ

ويا هاشِمِيّاً أنجَبَتهُ نجائِبُ   تخيّرها الشُمُّ الكِرامُ الأخايِرُ

ويا جدّ أملاكِ العبابِسةِ الأُلى   تَأَثَّلَ منهم كابرٌ ثم كابَرُ

ويا مَن مَديدُ الفضلِ من فَيضِ بَحرهِ بسيطٌ على كلِّ البريّةِ وافِرُ

ويا جامعاً أشتاتَ كلِّ فضيلةٍ تقاصرَ عنها ناظِمٌ بل وناثِرُ

فمن ذا يَعُدُّ الشُهبَ في أفُقِ السما ومن ذا يرومُ القَطرَ والقَطرُ هامِرُ

ومن ذا الذي يُحصي الرِمالَ أو الحصى ومن ذا يحدُّ البَحرَ والبَحرُ زاخِرُ

وحَسبي من الإدراك عجزي فإنهُ لإدراكُ من أعيَتهُ تلكَ المفاخرُ

وحسبُكَ من أفضالهِ وجلالهِ وإكرامِ من وافى لهُ وهوَ داخِرُ

نظامٌ رواهُ صاحبُ العمدة التي هيَ العُمدةُ العُظمى لمن هو شاعرُ

حكى ناسباً للحَبرِ شعراً محَبّراً تلقّفَهُ زيدٌ وعَمرو وعامِرُ

إذا طارقاتُ الهَمِّ ضاجَعَتِ الفَتى وأعمَلَ فكرَ الليلِ والليلُ عاكرُ

وباكَرَني في حاجةٍ لم يجد لها سوايَ ولا من نَكبَةِ الدهر ناصرُ

فَرجتُ بمالي همّه من مقامِهِ وزايَلَهُ همٌّ طروقٌ مُسامِرُ

وكان له فَضلٌ عليّ بظنه بيَ الخيرَ إنّي للذي ظَنّ شاكِرُ

فلِلّهِ من شِعرٍ تَكَفّل بالذي يؤمِّلُهُ داعٍ ويرجوهُ ذاعرُ

فمثلُ ابنِ عباسٍ يُريكَ تواضعاً ومثلُ ابن عباسٍ سواهُ يُفاخِرُ

ومثلُ ابنِ عباسٍ يُفَرّجُ كُربَةً تدورُ بمن قد باكَرَتهُ الدوائِر

ومثلُ ابنِ عباسٍ لمن أمّ بابهُ   وأمّلهُ في كلّ ضراً ناصرُ

فيا ناصراً زُوّارَهُ ومُفَرِّجاً   كروبهمُ إني وحقّكَ زائرُ

أتيتُ وأفكاري مُشَتّتةٌ وفي   فُؤاديَ شُغلٌ شاغلٌ فهو حائرُ

لقد ضاجَعتني طارقاتٌ كثيرةٌ   وهمّت هُمومُ الدهرُ والدَهرُ جائرُ

وقد جئتُ أشكو كلّ ما عنّ لي وما   عَراني فمالي غَيرُكَ اليومَ ناظرُ

أمَولايَ أعراضي لَدَيكَ كثيرةٌ   وبَحرُكَ لم يَكثُرهُ قطٌّ مكاثرُ

أملايَ إن فكرتُ في الدين خلِتَني   خَلِيّاً وما قَلبي بدينيَ عامرُ

وإن أنا في الدنيا تفكرتُ خامرت   فُؤادي وما إن لي سواكَ مُخامرُ

تُضَيّقُ أخلاقي بكثرةِ همِّها   وتوسِعُني دهراً وإنّي فاكِرُ

وتَشغَلُ بالأرزاقِ فِكرِيَ تارةً   وآونِةً تزدانُ عندي المحاذِرُ

وإن أنا في الشيطان والنفس والهَوى   تفكرتُ ضاقَ الكونُ بي والمحاضِرُ

وإن أنا في الأخرى تذكرتُ ساعةً   وفكرتُ نفسي يومَ تُبلى السرائِرُ

وأبصرتُ ما أقوى القُوى من جرائمي   وعاينتُ ظهراً أثقلتهُ الجرائرُ

بكيتُ وهل يُجدي البُكاءُ أمراً غوى   وضلّت له أبصارُهُ والبصائرُ

فكُن يا ابنَ عباسٍ بحقِّ محمدٍّ   عليه صلاةُ اللَهِ ما لاح نائرُ

طبيباً لأمراضي التي عزّ برؤُها   فما إن لها طَبٌّ يُدانيكَ ماهرُ

وسَل لي مَن الرحمن جلّ جلالهُ   صلاحَ أموري كُلِّها فهوَ قادرُ

وتَعجيلَ ما ناجَيتُكُم بِسُؤالهِ   من الدينِ والدنيا وما هو حاضِرُ

وفي النفس حاجاتٌ سواها قدِ انطَوَت   عليها من العبدِ الفقيرِ الضمائرُ

وتأميلَهُ تعجيلَها دونَ ريثَةٍ   كما هو عَنكم في الوَرى مُتواتِرُ

وسل لِيَ أيضا تَوبَةً تَمّحي بها   كبائرُ ذَنبي كلُّها والصغائرُ

وختماً جميلاً يُنتِجُ الفَوزَ بالرضى   إذا بُعثِرَت يوم الحسابِ المقابرُ

شفيعي إليك اللَهُ جلّ جلالهُ   ومن أنا جارٌ عندَهُ ومُجاورُ

محمد المحمودُ في كل أمةٍ   فما إن له في العالمين مُناظِرُ

عليه صلاةُ اللَهِ ثم سلامُهُ   ورضوانهُ ما طار في الأفقِ طائرُ

تُعَمُّ آل المُصطفى وصحابَهُ الأُلى   هُم نجومُ المُهتدينَ الزواهرُ

وتختَصُّ هذا الحَبرَ ما اشتاق شائقٌ   إليه وما ماسَت غصونٌ نواضِرُ

وما سار في الآفاق نجمٌ وما سَرى   إليك ابن عباس جميعٌ وسائرُ

يا يارقاً لاحَ من قُبا سحَراً

يا يارقاً لاحَ من قُبا سحَراً بحيثُ حلّ منَ النُهى سحراً

أُعارَ قلبيَ خفقاً وأخلفَ فاستعارَ من سُحبِ مُقلتي مطَراً

وأذكرَني العهدَ من سعادَ ولَم أنسَ وهاجَ الأحزانَ والفِكَرا

أيام نُسقى معَها الشمولَ على رَوضٍ يُشاكِلُ زَهرُهُ الزَهَرا

وغُصنُهُ طَرَباً تُمَيِّلُه ريحُ الشمالِ ليلثُمَ النهرا

ونَهرُهُ كالحسامِ جرّدَني وسطَ الرياضِ بسيلُ مُنهَمِراً

وزَهرُهُ فيه صار منتَظِماً لمّا غدا القَطرُ فيه منتشراً

أم هل أطيبُ بطيبَةٍ زَمَناً وهَل أعودُ من عِطرِها عَطِرا

وهل أرى مُنشِداً بساحتها مدحَ الرسولِ المبعوثِ من مُضَرا

محمدِ المصطفى الرسول ومن على جميع الأرسال قد ظَهَرا

قُطبٍ على الأنبياءِ قاطبةً وخَيرِ كلّ الأملاكِ والسفُرا

لولاهُ ما طَلَعت ذكاءُ ولا لاحَ الهِلالُ والكونُ ما ظَهَرا

له المحاسنُ كلّها جُمِعَت فكاملُ الحُسنِ فيه ما شُطِرا

يُخجِلُ شمسَ الضحى بطَلعَتِهِ وقمرُ التمّ نورهُ قمِرا

وقدّهُ فَضَحَ الغُصون ومَن جِسمهُ راح يفضَحُ الدُرَرا

نورُ الصباحِ يحكي أُسرّتَهُ وسُدفَةُ الليل تُشبهُ الشعَرا

كم معجزاتٍ على يدَيهِ بَدَت عن حصرها كلُّ شاعرٍ حَصِرا

فما تُعَدُّ ولا يحاطُ بها ومن يَعُدُّ النجومَ والمطرا

قد خَصّهُ ربُّه الحكيمُ بمعجزِ الكتابِ فأعجَزَ الشُعرا

ويومَ مولِدِهِ بدَت عِبَرٌ لمن رآها يا حُسنَها عِبَراً

بنورهِ نارُ فارسٍ خمدت كذاك كسرى إيوانهُ كُسِرا

والظبيُ والضبُّ والذراعُ لهُ قد أفصَحَت بالكلام دونَ مرا

وقد رأي ربّهُ بمُقلَتِهِ ليلَةَ أسرى ولَم يَزِغ بَصَراً

والشمس قد ردها الإلاه له بعدَ المغيبِ وشقّقَ القَمَرا

في كفّهِ سبّحَ الحصى وبها فاض الزُلالُ المعينُ وانفجرا

وُرقُ الحمام حمَت مكانتَه كذا له العنكبوت قد سَتَرا

والعينُ قد ردّها وأعذَبَها بريقهِ وسخاً بها بَدَرا

والدوحُ قد أقبلت بلا قَدمٍ تَسجُدُ بينَ يديهِ إذ أمَرا

وكم وكم راحةٍ براحتهِ نيلت وأذهَبَ لمسُها ضَرَرا

هذا هو الفردُ في محاسِنِه هذا الذي لا يُقاس بِالنُظرا

أسألُ ربّي الإلهَ يَمنَحُني بجاهه ما يُقِرٌّ لي النظَرا

وأن يكونَ الختامُ لي حَسَناً إذا رأيتُ الحمامَ قد حَضَرا

فيا رسولَ الإلاهِ تَشفَعُ لي فإنني قد أتَيتُ مُفتَقِرا

قد حَمّلَتني مآثمي ثِقلاً وليس لي شافعٌ سواك يُرى

ثمّ الصلاةُ عليك ما سجَعَت وُرقُ على ورقِ الربا الخضِرا

وما شَدا شائمٌ بروقَ قُبا يا بارِقاً لاح من قُبا سحَراً

يا رَبّ يا رَبّ إنّي مَسّني الضّرَرُ

يا رَبِّ يا رَبِّ إنّي مَسّني الضّرَرُ وَحارَبَتني كُرُوبٌ دونها الظُّرَرُ

عَدَت عَوادي زماني غيرَ وانيَةٍ علَيّ حتى اعتَرَتني الكُرَبُ الكُبَرُ

وذاكَ من شُؤمِ ما قَدّمَتُ من عَملٍ إذ ليس لي عمَلٌ ترضاهُ يُدّخَرُ

وغيرُ بِدعٍ إذا ما مِحَنٌ نَزَلَت بعبدِ سوءٍ مُسيءٍ ليس يأتَمِرُ

وإنا مِحَنٌ أرجو بها منَحاً من فضلكَ الوافرِ الوافي وأنتظِرُ

يا ربِّ أثقَلَتِ الأوزارُ ناصيتي وليس لي مزكأ يرجى ولا وَزَرٌ

يا ربِّ أقوى قُواي الذنبُ مُقتَفِرا مَفاقري وأنا رُحماك أقتَفِرُ

يا ربِّ بالَغتُ في العصيان وانتشرت منّي المعاصي ومنكَ العفوُ مُنتشِرُ

يا ربِّ ما لي شفيعٌ أرتجيه سوى مولىً شفاعتُهُ كَنزٌ ومُدّخَرُ

محمدٍ أحمدَ المحمودِ من حُمِدَت منه السرائرُ والأسرارُ والسيَرُ

وسار للعرش والكُرسي وقتَ سَرى وفاز من ربه بالرؤية النظرُ

وحازَ ما لم يَحُزهُ في الورى مَلَكٌ ولا مليكٌ ولا جِنٌّ ولا بَشَرُ

وحازَ ما لم يحُزهُ قبله أحدٌ وقابلته التهاني ثمّ والبُشَرُ

وخُصّ من ربه بالُمعجزاتِ فكم لديه من مُعجزاتٍ ليس تَنحصرُ

غمامةُ الأفقِ يا ما ظلّلته وقد رُدّت له شمسُهُ وشُقّقَ القَمَرُ

ومُعجزُ الذكر كم من مصقَعٍ لسِنٍ قد رامهُ فرماهُ العِيٌّ والحَصَرُ

والضب كلمّه والجِذعُ حنّ لهُ وكم أجابت دعاءَ المصطفى الشجَرُ

والظبِيٌّ وافه يشكو والبعيرُ وكم عليه سلمتِ الجدرانُ والحجرُ

في كفه سبحت صُمٌّ الحصاةِ وكم منها زُلالُ معينٍ صار يَنفَجِرُ

والعينُ أعذبَها بريقه وَسَخاً بها وعاودها من أجلهِ البَصَرُ

وكم وكم راحةٍ نيلت براحتهِ وراح عن ذي السقامِ السُقمُ والضَررُ

والعنكبوتُ حَمَته والحمامُ غدت تحومُ حول حمى غارٍ به وغَروا

يا سائقاً غَنّى النياقَ وزَمزَما

يا سائقاً غَنّى النياقَ وزَمزَما   أبشِر فقد جئتَ المقامَ وزَمزَما

كم كُنتَ تُذكِرني منازِلَ مكّةٍ   وتقول إنّ بها المنى والمغنَما

برِّد بماء سقايَةِ العبّاسِ ما   كابدتَهُ طولَ الطريقِ منَ الظما

وانهَض فهَروِل بين مكّةَ والصفا   وادخل إلى الحجّ الشريف مُسَلّما

ومقامَ إبراهيمَ زُرهُ مبادراً   ولحجرِ اسماعيلَ صلّ مُعَظّما

وانظُر عروس البيت يُجلى حُسنُها   للناظرين فلُذ بها مُستَغنِما

فهيَ التي ظَهَرت فضائلُها فَلا   تخفى وهَل يَخفى سنا قمَرِ السَما

ومنَ العجائبِ أنها محروسَةٌ   والصيدُ فيها لا يزالُ مُحَرّما

والطيرُ لا يعلو على أركانها   إلّا ليُشفى إن غَدا مُتَسَلِّما

تحتالُ في حُلَلِ السوادِ وبابُها   بالنورِ دامَ مُبَرقَعاً ومُلَثّما

هيَ كعبةُ المولى الكريمِ وكُلُّ مَن   وافى إليها حقُّهُ أن يُكرَما

ما منهُمُ إلا ذليلٌ خائعٌ باكٍ على زلّاتِهِ مُتَنَدّما

يا رَبِّ قد وَقَفَت ببابِكَ عُصبَةٌ يرجونَ منكَ تَفَضُّلاً وتكَرُّما

ذا طالبٌ فضلاً وذا مُتَفَضِّلٌ ممّا جَناهُ مِنَ الذنوبِ وَقَدّما

فاقبَلهُم وأنِلهُمُ منكَ الرّضى وتجاوَزِ اللهمّعَمّن أجرَما

وسل لهُ اللَهَ في غُفرانِ زَلّتهِ

وسل لهُ اللَهَ في غُفرانِ زَلّتهِ حتى يعودَ وكلٌّ الذنبِ مُغتَفَرُ

وفي ختامٍ جميلٍ طيبٍ حسنٍ فبالختامِ يتِمٌّ القَصدُ والوَطَرُ

وامنَحهُ من كلِّ معلومٍ حقيقتَهُ حتى يَرى صدرَهُ كالبحرِ يزدخِرُ

واكشف له الحُجبَ في لُقياكَ حتى يَرى جمالَ وجهكَ ما إن عنه يَستَتِرُ

واشغَلهُ باللَهِ في سرٍّ وفي عَلَنٍ عمّا سواهُ فما في غيره سُرُرُ

من لم يَغُص في لُجّةِ القاموس لم

من لم يَغُص في لُجّةِ القاموس لم يَعلَم بمقدار الصحاحِ الجوهَرِيّه

ومن امتطى سحّ العُبابِ فإنهُ يصغي إلى صوغ المعاني الأزهَرِيّه

فهناكَ يحلو المدح دونُ تُرَدُّدِ

فهناكَ يحلو المدح دونُ تُرَدُّدِ ويطيبُ تكراري الثَنا وتَرَدّدي

وأخاطبُ القبر الشريفَ مشافِهاً وأقولُ للفكر القَريحِ ألا ازدَدِ

وأقول يا خَيرَ الأنام جميعهِ يا صفوةَ اللَهِ العظيمِ الأوحدِ

يا خيرَ من وطىءَ الثرى وأجلّ من بذلَ الثوابَ لنائدٍ أو مُنشِدِ

هذا عُبَيدٌ جاءكُم مُتَطّفّلٌ يسعى بدَمع محاجرٍ لم يجمُدِ

مُتسَربلٌ بجرائرٍ وجَرائمٍ هدّت قُواهُ وكلّ طودٍ أطوَدِ

فاشفَع لهُ فلقد أتى متشفعاً مولايَ بالسبطَينِ سبطي أحمدِ

وَسَلِ الإلاهَ العفوَ عن آثامه حتى يُرى منها طهوراً في الغَدِ

والخَتمَ بالحُسنى فذلك عندَهُ مولايَ في المطلوب أكمَلُ مقصِدِ

والسترَ في الدنيا وفي الأخرى فلي إلٌّ بَتسميتي سماةَ محمد

والفَيضَ من كل العلوم بصدره فيَضانَ بحرٍ بالمعارف أجوَدِ

والوِردَ من حوضٍ تكفّلَ وردُهُ   أن ليس يظمأ واردٌ للمَورِدِ

وعليكَ ما سجَعَ الحمامُ تحيةٌ   واشتاقَ مشتاقٌ لقبر محمد

أدام اللَهُ رُفقَتَهُ وأبقى

أدام اللَهُ رُفقَتَهُ وأبقى عُلاها في عُلُوٍّ وارتِقاء

وأسمى قدرَهُ في كل أرض سمُوّ البدر في أفق السماءِ

وكَم لهُ من أحاديثٍ مُحَبَّرَةٍ

وكَم لهُ من أحاديثٍ مُحَبَّرَةٍ سَيَّارةٍ وحديثُ المجدِ سيّارُ

وكيف أبالي أو أحدّثُ بالي

وكيف أبالي أو أحدِّثُ بالي   بفانٍ من الأعراض أخلَقَ بالِ

وهَب أنّه في الحالِ يُصلح بالي   أما هُوَ في يوم المعادِ وبالي

على أنّ مولانا الكريم بفَضلهِ   هوَ المُصلحُ الأحوالِ دونَ تبالِ

فكُن واثقاً باللَه جلّ ولا تَمِل   إلى المالِ تحظى عن رَشيقِ نبالِ

دوامٌ لحجّ طولُ غزوٍ تواضُعٌ

دوامٌ لحجِّ طولُ غَزوٍ تواضُعٌ   إلى اللَهِ خُذها ستّةً   وثمانيَه

ووافَيَتُ ما بينَ يالظهيرَة والعَصرِ

ووافَيَتُ ما بينَ يالظهيرَة والعَصرِ ضريحَ إمامِ العارفينَ أبي بكرِ

وجَدّدتُ في الوادي الطهارةَ سائلاً من اللَهِ تطهيري منَ الذنبِ والوزرِ

وصلّيتُ فيه الظهرَ وارتَحتُ ساعةً وصلّيتُ ايضا فيه ركعَتيِ العَصرِ

وأقبلتُ أدعو اللَه جلّ بجاهِهِ يُيَسّرُ لي في كلِّ ما أرتجي أمري

ويَمنَحُني التيسيرَ منه تَفَضُّلاً فَرَبِّي تعالى يُبدِلِ العُسرَ باليُسر

إلى أن أرى في مَكّةٍ مُتمايلاً تمايُلَ زهوِ الوصلِ لا ميلَ الكِبرِ

ومن بعدها أمسي بطيبةَ طيّباً أجارُ إذا جاوَرتُ طهَ من الجورِ

أعَفِّر خَدّي حولَ تُربةِ طَيِّباً فتُربُ رسولِ اللَهِ أزهى من التِبرِ

وطيبةُ كلِّ الطيباتِ بطيبها تفوحُ فلا تسأل عن العَنبَرِ الشحري

فتسألُ مولانا بجاهِ محمّدٍ وطيبَةَ والبيتِ الحرام وبالحَجرِ

يَمُنُّ علينا بالوُصال إليهما جميعاً بلا قطعٍ يكون ولا حجرِ

ويُرفدُ هذا الوفدَ من فيضِ رِفدهِ بما أمّلوا في ذا المقام منَ الخيرِ

إلى أن يفوزوا في منىً بمُناهمُ ويُمنحَ كلٌّ منهمُ رابحَ التجرِ

ويُسعِدَهُم في طيبةٍ طيبُ سعدِهِم بزَورَةِ خيرِ العالم النائلِ البِرِّ

محمّدِ المحمودِ في الكُتبِ كلّها بألسُنِ أهل الأفقِ والبحرِ والبَرِّ

وإن مَدَحَ المولى الكريمُ بنَفسهِ سنا خُلقهِ الممدوحِ في مُحكَمِ الذكرِ

فماذا يقولُ المادحونَ بأسرهِم ولو ملأوا الآفاقَ بالحمدِ والشُكرِ

عليه صلاةُ اللّه ما حنّ شائقٌ إليه وما أعيَت مدائِحُهُ فِكري

هذهِ روضَةُ الرسولِ فَدَعني

هذهِ روضَةُ الرسولِ فَدَعني أبذُلِ الدَمعَ في الصعيدِ السعيدِ

لا تَلُمني على انسكابِ دُموعي إنّما صُنتُها لهذا الصعيدِ

تَرَنّم الطيرُ على غُصنِ بان

تَرَنّم الطيرُ على غُصنِ بان إذ بانَ غَيمُ الجَوّ والصحوُ بان

وقامتِ الأدواحُ راقصةً لمّا حَكى القُمرِيُّ صوتَ القِيان

فَلتَغتَنِم يومكَ في رَوضةٍ كأنّها من غُرفاتِ الجِنان

روضةُ أُنسٍ نورُ نُوارِها يَشُبُّ نارَ الشَوقِ وَسطَ الجنان

تُذكِّر العاشقَ نَسمَتُها نَسمَةُ أرضٍ شانُها أيُّ شان

أرضٌ بها حلّ الحبيبُ الذي قد كَلّ عَن تَكييفِهِ الثَقلان

أشرفُ مخلوقٍ وأكرمُ مَن قَد خَصّهُ اللَهُ بأعلى مَكان

محمدُ المختارُ خيرُ الوَرى الحامدُ المحمودُ طولَ الزمان

مَن وَجهُهُ الوَجهُ الجميلُ الذي يَخجَلُ من أنوارِهِ النَيّران

ومَن حَوى الحُسنَ بأجمَعِهِ وجُمّعَت فيهِ الخِصالُ الحِسان

وأظهرَ اللَهُ على يَدِهِ كَم مُعجِزاتٍ أفصحت عَن بَيان

إنّ الذي أحرَز من شرَفٍ عن حَصرهِ يَعجِزُ إنسٌ وجان

بالحَقِّ ربٌّ الخَلقِ أرسَلَهُ فاتّضحَ الحَقٌّ به واستبان

وكم حَباهُ اللَهُ من آيةٍ بَيِّنَةٍ بانت لِقاصٍ ودان

شُقّ لهُ البَدرُ ورُدّت لهُ بَعدَ المغيبِ الشمسُ والصَخرُ لان

والضَبٌّ والظبيُ بمَجلِسهِ قَد كلّماهُ بِفَصيحِ اللسان

والدَوحُ جاءت عَلى سوقِها تَخُطٌّ في الأرضِ بِغَيرِ بَنان

هذا أجَلٌّ الخلقِ قاطبةً هذا شفيعُ الخَلقِ يَومَ الرهان

هذا الذي في حُسنِهِ مُفرَدٌ هذا الذي ليس يُقاسُ بِثان

أسألُ اللَهَ ربّي يَمنَحُني بجاهِهِ فوزاً بِنَيلِ الأمان

وأن يكونَ الخَتمُ لي بالرِضى فإنّهُ ذو الجودِ والامتِنان

ثُمّ صلاةُ اللَهِ دائمةٌ ما كَتَمَ الصبٌّ هواهُ وَصان

على النبي والآلِ والصحبِ ما تَرَنّمَ الطيرُ على غُصنِ بان

ولي إليكَ انتساباٌ بتسميتي

ولي إليكَ انتساباٌ بتسميتي محمداً وذمامٌ ليس يُختَفَرُ

ولي جوارٌ بأعتابٍ حَلَلتُ بها فعندها العرشُ والكرسِيُّ يُحتَقَرُ

ولي مدائحُ في علياكَ تخبرُني بأنّها نالها من سَببيكَ الظَفَرُ

ولي رسائِلُ في فَضلِ الصلاة علي ك والسلامِ وما في ذاك قد ذكَروا

وكلها يا رسول اللَه بين يَدَي نجوايَ قدمتُها للعفو تمتَطِرُ

فانظر لمن لاذ بالأبواب مُطّرَحاً واسمَع لهُ وأجِرهُ إنه وجِرُ

اللَه أكبرُ كَم لهذا المُصطفى

اللَه أكبرُ كَم لهذا المُصطفى   من مُعجِزاتٍ حَدُّها لا يُحصَرُ

مَن ذا يَحُدُّ الشُهبُ في أفُقِ السَما   من ذا يَعُدُّ القَطرَ مَهما يَقطُرُ

من ذا يَحُدُّ النَبتَ أو يُحصي الحصا   هيهاتَ هذا الأمرُ لا يُتصَوَّرُ

فتَنَعّمي يا مُقلتي وتَنَزّهي   هذا الذي قَد كُنتَ قِدماً تنظرُ

وابكي إذا ما شئتِ أو فَلتَضحكي   فالكُلُّ يُحمَدُ والمشوقُ مُحَرّرُ

إذ عادَةُ المُشتاقِ يَبكي دائماً   إن يَنعَموا بالوَصلِ أو إن يَهجُروا

فإذا دَنوا يَبكي مخافاتِ النَوى   وإذا نأوا شوقاً لَهُم يَستعبِرُ

إلّا أثابَهُمُ بما لا يَخطُرُ

إلّا أثابَهُمُ بما لا يَخطُرُ في خاطرٍ كلّا وما لا يُبصَرُ

وجزاهمُ في هذه الدنيا بما شاؤوا من الخيرِ الذي لا يُخصَرُ

وأباحَهُم بحبوحَةَ الفِردَوسِ في يوم القيامة سارَعوا أو قَصّروا

هُديتُ إلى الصراطِ المستَقيمِ

هُديتُ إلى الصراطِ المستَقيمِ فجِئتُ لحَجّةِ البيتِ العظيمِ

وعِندَ الحجرِ قال الحِجرُ أبشِر فَقَد حُطِمَت ذُنوبُكَ بالحطيمِ

إليكَ ابنَ عباسٍ جميعٌ وسائرٌ

إليكَ ابنَ عباسٍ جميعٌ وسائرٌ سرى فأنا سارٍ لِمُغناكَ سائرُ

أحِنٌّ إليكم طولَ عُمري وأشتَهي زيارتكم والحظٌّ عن ذاك قاصرُ

وقد طالما عوّلتُ ثُمّتَ كلما شددت رحالي نحوكم ثار ثائرُ

وما خِلتُ أنّي عاقني عنكمُ سِوى ذنوبٍ عظامٍ ساعَدَتها المقادرُ

تُرى هل تَرى عيني ثراكَ فأشتفي برؤية تلك الأرض مما أحاذرُ

فإن اشتياقي نحوكم زاد عَزمُهُ وأغلَبُ ظني أنني اليومَ زائرُ

وقد آذنَتني بالتداني أمائرُ وقد بشّرتني بالوِصالِ بشائرُ

وأيقنتُ أنّ الحُجبَ زالت وأنني دعانيَ داعيكم فلِم لا أبادِرُ

وشمّرتُ ذيلُ العزمِ ثم أتَيتُكم بإذنكمُ إذ هُيئَت لي المياسِرُ

ولولا تمامُ الإذنِ ما إن تَيَسّرَت سُراي وأمسى جدٌّها وهو عاثرُ

وإِذ تمّ منك الإذنُ هاجت بلابِلي وثارت حُشاشاتي لكُم والشراشرُ

وأصبحتُ إذ سافرتُ نحوكَ مالكا كياسرةَ الدُنيا ودوني القَياصِر

بلى بل مُلوكُ الأرضِ طُراً ومُلكُهم لدونَ الذي منكم بهِ أنا ظافر

لقد قابَلَتني في منىً غايةُ المُنى وأيقنتُ أنّ الحَبرَ للكَسرِ جابِر

وفي عَرَفاتٍ قد عَرَفتُ عوارفاً له دونَها السُحبُ الغِداقُ الغزائر

وفي الكر أضحى كَرٌّ كل فضيلةٍ بِأفضالِهِ وهو الملىءُ المُغامِرُ

وقالوا كرىً يضنفي الكَرى ويجي العُرى ويحي القرا حتى كأنهُ لوافرُ

ولكنني والحمدُ للَه لم أجد به كلّ ذا حفّ باللُطفِ قادرُ

وأشعِرتُ لما أن عَلَوتُ على الهُدى عُلاً وهدىً إني إلى اللَهِ شاكرُ

صراطُ كرىً أفضى إلى جنة الهُدى فلا بِدعَ إن بانَ العنا وهو نافرُ

وأصبحتُ في قَرنِ المنازلِ سارياً إذا ما اختَفى نجدُ بدا ليَ غائرُ

وأضحيتُ عندَ الحبرِ في أرضهِ التي بها طافَ جبريلُ السفيرُ المُسافِرُ

فنِعمَ البِلا والطائِفُ الألطَفُ الذي فضائُلهُ في العالَمينَ ظواهِرُ

وبادرتُ أسعى نحوَ رَوضَتِهِ التي بها الأرضُ للآفاقِ طُرّاً تُفاخِرُ

وأدركَني في بابها أيٌّ هَيبَةٍ تخرُّ لها الأذواءُ بَل والأكابِرُ

وفاضت دموعي فرحةً ومهابةً ومن شدّةِ الأفراحِ تبكي المحاجِرُ

وقابَلَني بالفَتحِ والنَصرِ وانجَلَت لِيَ الحُجبُ عَن ذاك السنا والستائرُ

وقُيِّضَ لي سَلمانُ خادمُهُ الذي يُماسيهِ في أبوابهِ ويُباكِرُ

فأنزَلَني في منزِلٍ أيِّ منزلٍ وعُجِّلَ لي من بيتهِ المُتياسِرُ

وقامَ بأحوالي جميعاً نيابَةً عنِ الخَبرِ فهوَ الأهلُ وهوَ العَشائرُ

فَيا فَوزَ المُصابِ منَ الإلاهِ

فَيا فَوزَ المُصابِ منَ الإلاهِ بداهيَةِ دَهَتهُ عَنِ الملاهي

لَقَد أمسى مُصيباً كلّ خيرٍ وبالوِلدانِ في الفِردَوس لاهِ

قَصَدتُكُمُ رجالَ اللَهِ أسعى

قَصَدتُكُمُ رجالَ اللَهِ أسعى فقد هَتَفَت بجودِكمُ الحَمامُ

ولَم أقصدِ ذُرا فَضلٍ سواكُم ولو نَشِبَت بِضَبعيّ الحمامُ

أصبِيَةٌ ثم أصبٌ ثم صببيانُ

أصبِيَةٌ ثم أصبٌ ثم صببيانُ وصبيَةٌ صُبَيَةٌ أيضا وصببيانُ

وصبوَةٌ ثم صُبوانٌ وصبوانُ وصُبيانٌ حكاها مَن لهُ شانُ

أرجاؤُها طبقَ المنى وهواؤُها

أرجاؤُها طبقَ المنى وهواؤُها يَشتاقهُ الولهانُ في الأسحارِ

والطبعُ مُعَتدِلٌ فقُل ما شِئتَهُ في الظِلِّ والأزهارِ والأنهارِ

فَمَن جاءَ مُشتاقاً إليهِ أخا وَجدِ

فَمَن جاءَ مُشتاقاً إليهِ أخا وَجدِ وَخَلفَ ما خلّى من الأهلِ والوُجدِ

وقاسى مَشَقّاتِ الطريقِ ولم يَزَل يُسايرُها ما بينَ غَورٍ إلى نَجدِ

ووافى إلى ذاكَ المقامِ الذي غدا جِماعَ جميعِ الخيرِ والفخرِ والمجدِ

يُقالُ له أهلاً وسهلاً ومرحَباً بأشرَفِ وفدٍ مرحباً بكَ مِن وَفدِ

أمِنتَ الذي تَخشى وفُزتَ بما تشا وفوقَ الذي أمّلتَهُ حُزتَ من رِفدِ

وأخلَفَ ما أنفَقتَهُ مُتضاعِفاً وفَلسُكَ أمسى ألفَ ألفٍ بلا كَدِّ

ومَهما دعوتَ اللَهَ حولَ حرامهِ أجِبتَ سريعاً دون رَيثٍ ولا ردِّ

وإن شَوكَةٌ شاكَتكَ في طُرُقاتِهِ فلا تَشكُ نلتَ الخُلدَ في جنّةِ الخُلدِ

فتلكَ جزاءٌ للذي بَرَّ حجُّهُ وساعَدَهُ من رَبِّهِ طالعُ السَعدِ

عِلمٌ إلى حلمٍ إلى كَرَمٍ إلى

عِلمٌ إلى حلمٍ إلى كَرَمٍ إلى … عِرفانِ أربابِ المعارفِ والأُلى

وشريفُ أخلاقٍ وأعراقٍ وأعلاقٍ … تَجِلُّ عَنِ العُلا وعنِ العَلا

ومناصِبٌ شَرعِيّةٌ موروثة … مَبثوثةٌ في الفَرعِ عَن أصلٍ عَلا

ودقائِقٌ وحقائِقٌ لا تَنتهي … غاياتُها في كُلِّ تحقيقٍ إلى

يا مَن به طيبةٌ طابَت حلى وعُلاً

يا مَن به طيبةٌ طابَت حلى وعُلاً ومَن بتَشريفه قَد شُرِّفَ العَرَبُ

يا أحمدُ المصطفى قد جئتُ من بلدٍ قاصٍ ولي خلَدٌ قاسٍ ولي أَرَبُ

ومُذ دَهَتني ذنوبٌ قلتُ إذ عَظُمت لِلّه منها وَطَهَ المصطفى الهَرَبُ

إلى أن بَدا وجهُ الصباحِ كأنّهُ

إلى أن بَدا وجهُ الصباحِ كأنّهُ محمدُ المسناوِيُّ نجلُ أبي بَكرِ

لا بِدعَ إن وافى بغَيث ٍصيّبٍ

لا بِدعَ إن وافى بغَيث ٍ صيّبٍ وأتى بكل شذى وعرف ٍ طيّبِ

واختصّ بالحَمدِ الكثيرِ فإنهُ نَجر اشتقاقِ محمد بنِ الطيّبِ

يا جاهلاً نور الصحاح ومُعرِضاً

يا جاهلاً نور الصحاح ومُعرِضاً عن دُرَّةٍ في لُجَّةِ القاموس

فيه صحاحُ الجوهَرِ الشفافِ مثلُ الكوكبِ الدرّي والقابوسِ

نَزَلنا حماكَ أبا حَسَنِ

نَزَلنا حماكَ أبا حَسَنِ فَعَجِّل بكُلِّ قرىً حَسَنِ

وعَمِّر حقائِبَنا واملَها بفضلِكَ من كلِّ مُستَحسَنِ

أعُقبَةُ جُبنا أجبُلاً وعقاباً

أعُقبَةُ جُبنا أجبُلاً وعقاباً أضَلّت مواميها قطاً وعُقاباً

أعُقبَةُ سل مولاكَ جلّ جلالُهُ يُؤَمّنُنا كي لا نخافَ عِقاباً

فها نحنُ وَفدُ اللَهِ حجاجُ بيتهِ وطيبَةَ إذ من طيبها الكونُ طابا

قَصَدناكَ في نيلِ المقاصدِ كُلّها ومثلُكَ من بالمكرمات أجابا

ولستُ بأهلٍ أن أُجازَ فكيف أن

ولستُ بأهلٍ أن أُجازَ فكيف أن أجيزَ ولكنّ الحقائقَ قد تخفى

وأما ما سواهُ منَ الجَريدِ

وأما ما سواهُ منَ الجَريدِ وبَرقَةَ رَبّةِ الخِصبِ المَديدِ

فلا تَسأل عنِ الخيراتِ فيها ولكن قُل ألا هَل من مَزيدِ

تَجَرّدَ مِن لبوسٍ البوسِ كلٌّ وأبرَقَ بارقُ الزَمَنِ السَعيدِ

فيا ليتَهُ لو ردّ منها قصيدة

فيا ليتَهُ لو ردّ منها قصيدة   وسامَحتهُ في المال أجمعَ والكُتبِ

لَئِن ملِتَ عنّي أو مَلَلتَ مَوَدّتي

لَئِن ملِتَ عنّي أو مَلَلتَ مَوَدّتي فإنيَ لا واللَهِ ما ملّكَ القَلبُ

وعشيّةٍ كم عيّشَت من ناسٍ

وعشيّةٍ كم عيّشَت من ناسٍ حلف الغرامَ وأذكرت من ناسِ

جادت بوَصلِ مُهَفهَفٍ كالرو ضِ في الأزهارِ والإزهار والإيناسِ

يا عبادَ اللَهِ بُلّو الرحما

يا عبادَ اللَهِ بُلّو الرحما وبِخَلقِ اللَهِ كونوا رُحَما

ارحموا مَن في الثَرى يَرحَمكمُ من سَما سُلطانهُ فوقَ السَما

وتُسعِفُهُ غُرٌّ القوافي لأنهُ

وتُسعِفُهُ غُرٌّ القوافي لأنهُ مشوقٌ إلى تلكَ المرابعِ شيّقُ

ويوحى لَهُ من كلِّ قلبٍ لُبابُهُ ومن كل نظمٍ في المدائح رَيّقُ

ويُصبحُ رحبَ الصدرِ منه موسعاً لأنهُ من فَرطِ الصّبابة ضيّقُ

وكلٌّ ما قد طَلَبنا فاقضهِ عجلاً

وكلٌّ ما قد طَلَبنا فاقضهِ عجلاً وضعفَهُ فغَيثُ الفضل مُنهَمرُ

وكن لنا ربِّ في دُنيا وآخرةٍ فإنّنا برسول اللّه نَنتَصِرُ

واشمُل إلهي بما نرجو مشايخَنا ووالدَينا فإنّا لهُم أَثَرُ

واشمُل أحِبّتَنا طُراً وجيرتَنا والمسلمينَ ومن غابوا ومن حضروا

وصلِّ صلاة على خير الوَرى وعَلى الأصحابِ والآل من هُم في الدُجى غُرَرُ

مشفوعةً بسلامٍ عَرفُهُ عَبِقٌ من عِطرهِ يستعيرُ العَنبَرُ العَطِرُ

ما قامَ غُصنٌ على ساقٍ فمَيّلَهُ ريحُ الشمالِ لكَي يلثِمَهُ النَهَرُ

وما بكت سحُبُ الآفاقِ هامِيَةً فضَحكتُ لبُكاء آماقِها الزهَرُ

وما توسّلَ بالمُختار ذو قَلَقٍ فعاد تَقدُمُهُ حاجاتهُ تفرُ

وما شدا من أضَرّتهُ ضرورتُهُ يا ربِّ يا ربِّ إني مَسّني الضَرَرُ

فنسـألُ مولانا كما قدّرَ البَينا

فنسـألُ مولانا كما قدّرَ البَينا وأسكَبَ مِن عَيني لفُرقَتِهِ عَينا

يُقَدِّرُ باللُقيا سـريعاً فأنثَنى وقَد قَرّ من لُقيا حبيبِ الحشا عينا

قَسَماً بمكّةَ والحطيمِ وزَمزَمِ

قَسَماً بمكّةَ والحطيمِ وزَمزَمِ والرُكنِ والبَيتِ الشريف الأعظَمِ

ما إن سمعتُ بمشرِقٍ أو مَغربٍ كلّا ولا في الروم أو في الديلَمِ

مِثلَ الفقيه البارعِ اللسِنِ الأديبِ اللوذَعِيِّ محمّدِ بن الأصرَمِ

رجوعاً إلى المولى فهذا زمانُهُ

رجوعاً إلى المولى فهذا زمانُهُ وطرحاً على الأبوابِ هذا مكانُهُ

وطُف حولَ بيتِ اللَه للعفوِ راجياً وتُب واسأل الغفرانَ هذا أوانهُ

فمَن جاء هذا البيتَ يُرجى قبولُهُ ومن خاف مكروهاً ففيه أمانُهُ

أما إنَّهُ بيتُ الكريم ومَن أتى فناءَ كريمٍ له يَفُتهُ حنانُهُ

وسارَ إلى السويسِ ولي فُؤادٌ

وسارَ إلى السويسِ ولي فُؤادٌ　　به من نارِ فُرقَتِهِ اتِقادُ

فيا لَيتَ الزمانَ يجودُ يوماً　　بلقياهُ وما دهري جوادُ

صَفا القلبُ مِنّي إذ وَقَفتُ على الصفا

صَفا القلبُ منّي إذ وَقَفتُ على الصفا فللهِ رَبعٌ فيه كلٌّ امرىءٍ صَفا

وأمسى فُؤادي لَيّناً ذا سُهولةٍ وقد كان قِدماً وهو أقسى منَ الصَفا

وفي المَروَةِ الغَرّاءِ زادت مُرُوّتي كمالاً ولِم لا وهي منزلةُ الوَفا

وسرتُ وقلبي مُحرَقٌ بِلَظى النوى

وسرتُ وقلبي مُحرَقٌ بِلَظى النوى   لبَينِ الذي بَينَ الجوانِحِ قد   ثَوى

وقِدماً نوى أن لا يفارقني   كما   نوَيتُ فحيلَ بينَ مَرءٍ وما   نَوى

وبالكَعبَةِ الغراءِ عن كلّ ٍكاعِبٍ

وبالكَعبَةِ الغراءِ عن كلّ ٍ كاعِبٍ   تَسَلّى فلا يَصبو لأغيَدَ لاعبِ

وفي روضةِ المُختارِ أصبحَ هائماً   يروحُ ويَغدو بين تِلكَ الملاعبِ

سافر إلى نَيلِ المَعَزّةِ

سافر إلى نَيلِ المَعَزّ ةِ إنّ في السفَرِ الظفَر

وانفرِ لنَيلِ المجدِ فيمَن للمعالي قَد نَفَر

واعلَم بأنّ المكثَ في الأوط انِ يدعو للضَجَر

ويُوَرّثُ الأخلاطَ والأجس امَ أنواعَ الضَرَر

أوَما رأيتَ الما لطُو لِ المكثِ يَعروهُ الكَدَر

والبدرَ لو لزِمَ الإقا مةَ في محلٍّ ما بدَر

والدُرّ لو أبقَوهُ في قَعرِ البحارِ لما افتخَر

والتِبرُ تُربٌ في المعا دنِ وهو أفخَرُ مدخَر

والعودُ مَعدودٌ لدى الغابا تِ من جِنسِ الشَجَر

والباتِرُ المَغمودُ لَو لم يُخرِجوهُ لما بَتَر

هذا وكَم مثَلٍ سَرَى في الناس من هذي العِبَر

أبدى البدائعَ منهُ من نظَمَ القريضَ ومن نَثَر

عن وجهِها في غالبِ الأس فار أسفَرَ من سَفَر

فادأُب على الترحال في الأحوالِ أجمَعِها تُسَرُ

واعلَم بأنّ البُعدَ عن وطنٍ به تمّ الوطَر

واغرُب بشرقٍ واشرُقَن في الغَربِ إن تكُ ذا نَظَر

واجعل جميعَ الناس أز رَكَ والثرى طوراً وَزَر

لا تختَرن بدواً ولا حَضَراً وكُن مع مَن حَضَر

فالبدو عزٌّ واللطا فَةُ والظرافةُ في الحَضَر

فإذا بَدَوتَ فكل عزّ باذخٍ فيكَ استَقَر

وإذا حَضَرتَ فكلُّ ظَر فٍ ظَرفُهُ لك مُستَقَر

لا تبكِ إلفاً لا ولا داراً ولا رَسما دَثَر

فالناسُ إلفُكَ كلهم والأرضُ أجمَعُها مَقَر

فمتَى وجدتَ العزّ والعيشَ الهنيّ أقِم تُبَر

وإذا رأيتَ الضدّ والصد الخفيّ فدَع وذَر

واجعل بضاعَتَكَ التُقى مع من أُسَرّ ومن جَهَر

فإذا اتّقيتَ اللَه فُز تَ بكلِّ كنزٍ مُدّخَر

أأحمدُ في مغناكَ قد ظَلت أحمَدُ

أأحمدُ في مغناكَ قد ظَلت أحمَدُ ومثْلُكَ من يُسدي الندى حين يُحمدُ

ولا سيما والقوالُ منكَ مُصَرّحُ بذلك في بَيت من الشعر يُنشَدُ

إذا كنتَ في ضيقٍ وغَمٍّ وكُربةٍ فنادِ أيا زَروقُ يأتيكَ أحمَدُ

فها نحنُ وفدَ اللَهِ زُوّارَ بيتهِ وطيبةَ إذ يدعو إليها مُحَمّدُ

عليه صلاة اللَه ثمّ سلامُهُ ورِضوانهُ ما لاحَ في الأفقِ فَرقَدُ

فعَجّل قرانا بالسؤال لرَبّنا ليَبلُغَ من كلّ لدى الرب مقصد

ونَظفَرُ في ذاك المقام بحَجّةٍ لها حُجّةٌ في البرِّ ليست تُفَنّدُ

وفي رَوضَةِ المختارِ نُصبحُ كلما خرجنا عشقنا العودَ والعَودُ أحمَدُ

يا إلهي قد أتى المُلتَزَما

يا إلهي قد أتى المُلتَزَما عَبدُكُم يَرثي لِذَنبِ أزَما

هدّ يا ربِّ قُواهُ وَبرى جِسمَهُ مولايَ حتّى عَزَما

فاخفِضَن بالفَضلِ ربّي نَصبَهُ واجعَلِ الملتزِمَ المُلتَزَما

لمّا تستّر إذ رآني مقبِلاً

لمّا تستّر إذ رآني مقبِلاً عنّي زعيماً أنّهُ لا يُؤنِسُ

نادَيتهُ لا تُخفِ شخصَكَ إنّما سمّيتَ إنساناً لأنكَ مؤنِسُ

فالحمدُ للَه حمداً لا نَفادَ لهُ

فالحمدُ للَه حمداً لا نَفادَ لهُ	ما طافَ بالبيتِ مَن قد حجّ أو زارا
وما محا اللَه ذنبَ الطائفينَ وما	حطّ الإلاهُ عن الساعينَ أو زاراً

قل لابنِ ملجَمٍ الملَجّمِ نيرانا

قل لابنِ ملجَمٍ الملَجّمِ نيرانا المتَسَربِل خِذلاناً وخُسرانا

عدَلتَ عن طُرقاتِ العدلِ يا غَدرُ وخُضتَ في الغَدرِ أنهاراً وغُدرانا

ضللتَ في سُبُلٍ غرّاءَ واضحةٍ ولم تزَل عن سبيل الحق تَيهانا

أفرطتَ في الجهل إذ فَرّطتَ من حَمَقٍ حتى قَتَلتَ إماماً عالياً شانا

صِهرُ الرسولِ عليٌّ زوجُ فاطمة وخيرُ مَن زَيّنَ الهُدى وَمَن شانا

ووالدُ الحَسَنينِ النيّرَينِ وَمن كانا إلى المصطفى روحاً وريحاناً

وبابُ مصرِ علومِ الدين أجمَعِها فليس يَعرُبُ عنهُ حَيثُما كانا

وذو السجايا التي ليس يَحصُرُها عَدٌّ ولو طالتِ الأزمانُ أزمانا

ومَن مناقِبُهُ حدّث ولا حرجٌ بَلى تجاوَزَ ما في البحر مولانا

أخطأتَ أخطأتَ يا ابنَ ملجّمٍ فَلَقَد أتيتَ على الأذى والوِزرِ إيتانا

وجُرتَ عن كلِّ أجرٍ لستَ نائلَهُ وجئتَ جهراً جريراتٍ وعِصيانا

وبُؤتَ بالسُخطِ والعُتبى على غَضبٍ تلقاهُ حيّاً بلا شكٍ وموتانا

وقد أخطأ القومُ إذ سمّوكَ عابدَ رحمانٍ وبالخلفِ قد بارَزَت رحماناً

ما كان أولاكَ أن يدعوكَ عاصيَهُ بلى تجاوزتَ عِصياناً وكُفرانا

فلا سَقَتكَ من الوسمي غاديةٌ ولا سقت ارض عِمرانَ بنِ حِطّانا

عمرانُ عُمّرَ بالكُفرِ الصريح وَمن حِطّانُ حطّ عليه اللَهُ نيرانا

ما أنتَ إلّا شَقِيٌّ وهو مِثلُكَ في شقاوةٍ تُخذلانِ فيها خِذلانا

لا تَغتَررِ أو تُصَدّق بمقالتِهِ فإنها كُسيَت زوراً وبُهتانا

واللَهِ ما هيَ إلا ضربةٌ شَقِيَت فكيفَ تبلغُ من ذي العرشِ رِضوانا

باءت بخُسرٍ وتَطفيفٍ ومنقَصَةٍ فكيفَ تحسَبُ أوفى الناسِ ميزانا

ولفظُ القُنوتِ اعدُد مَعانيَهُ تَجِدِ

ولفظُ القُنوتِ اعدُد مَعانيَهُ تَجِدِ مزيداً على عَشرٍ معانِيَ مرضيَه

دعاءٌ خشوعٌ والعبادةُ طاعةٌ إقامتها إقرارهُ بالعبوديه

سكوتٌ صلاةٌ والقيامُ وطولُهُ كذاكَ دوامُ الطاعةِ الرابحُ النِيه

حَطَطنا بمَعنى خالد بن سِنانِ

حَطَطنا بمَعنى خالد بن سِنانِ　　لنَحظى به من أسهُمٍ وسِنانِ

أخالدُ منك َالوُدُّ أصبحَ خالداً　　لدى خلَدي بَل في صميم جَناني

أخالدُ هَل لي للحَرامَينِ وَصلَةٌ　　أنَعّمُ منها في فسيح جَناني

أخالدُ مَن لي أن أفوز بحَجّةٍ　　لها حُجّةٌ في البِرّ ذاتُ يَدانِ

أخالِدُ هَل ليّ زورَةٌ لمُحَمّدٍ　　نبِيٍّ سَما عَن مُشبِهٍ ومُدانِ

عليه صلاةُ اللَهِ ما حنّ　　شائقُ الجوانِحِ من قاصٍ إليه ودانِ

حَوى الحسَنَ بنَ فاطمةٍ ضريحٌ

حَوى الحسَنَ بنَ فاطمةٍ ضريحٌ   بهِ ريحانةٌ أبداً تَضوعُ

فلا تعجَب لِقَولي حينَ أدعو   أمِن ريحانةِ الداعي السميعُ

عَشِقتُ ولا أقولُ بمن لأني

عَشِقتُ ولا أقولُ بمن لأني أخاف عليهِ من ألمِ العذابِ

وكُنتُ أظنُّ أن يُشفى فُؤادي بريقٍ من ثناياهُ العِذابِ

فأشقاني هواهُ وما شَفاني وعذّبني بأنواعِ العَذابِ

وغادَرَ أدمعي من فَوقِ خدّي تسيلُ لغدره سيلَ الربابِ

وما ذَنبي سوى أن همتُ فيهِ كمن قد هام قدماً في الرباب

بِذِكراه أرى طرَبي ارتياحاً وما طرَبي برناتِ الربابِ

لاح الصباحُ ولألأ المصباحُ

لاح الصباحُ ولألأ المصباحُ ووجوهُ كُلِّ الحاضرينَ صِباحُ

وافترّ ثغرُ الصبح عن شمسِ الضحى فبدا جبينُ المصطفى الوضّاحُ

نسألُ رحمَ الراحمِ الرحمانِ

نسألُ رحمَ الراحمِ الرحمانِ لمالكِ بنِ عابدِ الرحمانِ

حتى يُنادى لتَقُم يا مالك فأنتَ للفردوس خيرُ مالِك

تسرَحُ أينَ شئت في الجنانِ قَريرَ عينٍ واسعَ الجنانِ

تلبَسُ كلّ مجسَدٍ مُرَحّل تكرمةً على بني المرحّل

ورؤيةُ الوجهِ الكريم فهيا تمامُ كلِّ نعمةٍ تُلفيها

لا حرَمَ اللّهُ الجميع رُؤياه لأنها النعماءُ يومَ لُقياه

حتّى تغيبَ في سَنا المشاهده وتَقتني المفازَ فيمن شاهده

بِجاهِ خيرِ الخَلقِ طُراً أحمدا صلّى عليه اللّه ما طال المَدى

ففيها علاماتُ القبولِ لأنها

ففيها علاماتُ القبولِ لأنها تُشيرُ لإقبالِ المليكِ على العَبدِ

وتُرشِدُ أنّ العَبدَ مهما أصابَهُ بنائِبةٍ مولاهُ قُرِّبِ مِن بُعدِ

تبدّت في قطيعٍ كالصوارِ

تبدّت في قطيعٍ كالصوارِ   فتاةٌ عَرفُها نَشرُ الصوارِ

كَعبَتُنا قَد أصبَحت

كَعبَتُنا قَد أصبَحت بنورِها مُخَلّقَه

تَهُبُّ من أركانها رياحُ عِشقٍ عَبِقَه

فصَيَّرَت قُلوبنا بالوَجدِ كالمُطَوَّقَه

وغادرت أرواحَنا بعَرشِها مُعَلّقَه

مليكةٌ بجوهرِ الذكرِ غَدَت مُمَنطَقَه

والطائفونَ حَولها جنودُ تِلك الحلَقه

حَصَلتُ على المجد والسُؤدَدِ

حَصَلتُ على المجد والسُؤدَدِ وأمِّنتُ من سالخٍ أسودِ

وصلّيتُ ما شئتُ خَلفَ المقام وقبّلتُ فا الحجرِ الأسودِ

يا مُقلتي هذا المقامُ الأكبَرُ

يا مُقلتي هذا المقامُ الأكبَرُ والروضَةُ الغنّاءُ فيها المنبَرُ

والمسجِدُ الأسمى الذي محرابهُ أبداً على الأكوانِ طُرّاً يفخَرُ

هذي مرابعُ طيبةَ الغَرّا التي من طيبها طابَ الشذا والعَنبَرُ

هذا البقيعُ وذاك أشرَفُ بُقعَةٍ الآلُ والأصحابُ فيها أقبِروا

هذا النخيلُ وتلك دارُ المصطفى أفلا تَرى الأنوارَ فيها تظهرُ

هذا المكان الأعظمُ الأسمى الذي قد كان فيه المصطفى يَتَغوّرُ

هذا وحَقِّ اللَهِ أشرَفُ منزِلٍ قد كان جبريلٌ له يتكرّرُ

هذا الرسول الطاهرُ الأخلاقِ والأعلاقِ والأعراقِ وهو الأطهَرُ

هذا الذي جَمَعَ المحاسِنُ كلّها فالحسنُ فيه كاملٌ لا يُشطَرُ

هذا الذي من شَعرهِ اسوَدّ الدجى وابيَضّ من مَرآهُ فَجرٌ نَيّرُ

هذا الذي من وجنَتَيهِ جَنّةُ الوَردِ النديِّ ومن لماهُ الكَوثَرُ

هذا الأزَج الأدعج الطرَف الكَحيلُ الأبيضُ اللونِ الأغَرُّ الأزهرُ

هذا أَسيلُ الخَدِّ أقنى الأنف أز هى القَدِّ يحكيهِ القَضيبُ الأزهرُ

هذا الذي حاكى العقيقُ شفاهَهُ إذ صار يحكي ثَغرَ فيه الجَوهَرُ

هذا أجلُّ الخَلقِ سبطُ الخَلقِ طلقُ الخلقِ ليسَ له نظيرٌ يُنظَرُ

هذا الذي قد أشرَقَت من نورِهِ أنوارُ هذا الكونِ فَهوَ العُنصُرُ

هذا الذي خُرِقَت له العاداتُ في كَم معجزات ما رآها المُبصِرُ

هذا الذي بانَت لِمَولدِهِ عَلا ماتٌ وآياتٌ عظامٌ تَبهَرُ

هذا الذي قد أخمَدَت أنوارُهُ أنوارَ فارسَ بِئسَ تلك الأنوُرُ

هذا الذي إيوانُ كسرى لَم يزَل مُذ بانَ نورُ المصطفى يَتَكَسَّرُ

هذا الذي قَد رَدَّ عَينَ قتادَةٍ بعدَ العَمى فَغَدَت سريعاً تُبصِرُ

هذا الذي قد أَثنى عليهِ اللَهُ في التنزيلِ في كَم آيَةٍ لا تُنكَرُ

هذا الذي قد أنزِلَت في شَأنهِ شانيكَ بينَ الناس هوَ الأبتَرُ

هذا الذي رُدَّت له شمسُ الضُحى بعد المغيبِ وشُقَّ بدرٌ أنوَرُ

هذا الذي قَد جاءَهُ ضَبٌّ الفَلا مُتَكَلماً وكذا الغزالُ الأعفَرُ

هذا الذي نطقَ الذراعُ له بما قد ضَمَّ مِن سُمِّ اليهودِ يُخَبِّرُ

هذا الذي في كفِّهِ قد سَبّحَت صُمُّ الحجارةِ نِعمَ تلكَ الأحجُرُ

هذا الذي قَد أشبَعَ الجيشَ العرَمرَمَ من صُواعٍ بل صُوّاعٌ أكثَرُ

هذا الذي رَوّى الخميسَ بصاع ماءٍ فارتوى إذ أشبَعَتهُ الأتمُرُ

صلاةٌ سلامٌ ثم حمدٌ شهادةٌ

صلاةٌ سلامٌ ثم حمدٌ شهادةٌ وتَسبيحٌ استغفارُ الشُكرُ كبّرا

وسألتُ الإلهَ مولايَ أن

وسألتُ الإلهَ مولايَ أن يَخ لُفَني في جميع أهلي ومالي

فهوَ أرحمُ جل مِنّي بهم وهوَ يُنيلُني غايةَ الآمالِ

وأنى لهُ علمٌ بذاكَ وقد غَدا

وأنى لهُ علمٌ بذاكَ وقد غَدا لغَفلتهِ العُظمى جهولاً بنَفسهِ

ومن أينَ يدري غيّهُ من رَشادهِ غداً وهو ساهٍ عن تصاريفِ أمسهِ

وقالوا إذا ما أتيتَ لسروالَ

وقالوا إذا ما أتيتَ لسروا لَ فاحذَر حَرّاً شديداً

وإياكَ والماءَ فاملأ به الأو اوي واعزِم على أن تزيدا

فإنّ مفازَتهُ صعبةٌ بشدّتها كم أشابَت وليدا

وما علموا أن فَضلَ الإلا ه ليس يزالُ بسيطاً مديداً

بُغيثُ الخلائقَ إن عطشوا بغَيث غزيرٍ يَعُمّ العبيدا

وكم من غديرٍ يُغادرُ ما يُروّي ركاباً ويكفي جنودا

فسبحانُه من جوادٍ كريم يعُمّ الخلائقَ فضلاً وجودا

وكيف أؤدي شكر مَن إن شَكَرتُهُ

وكيف أؤدي شكر مَن إن شَكَرتُهُ   على بِرٍّ يومٍ زادني مثلَهُ غَداً

والدهرُ هدّ الظَهرَ بالحَدثانِ

والدهرُ هدّ الظَهرَ بالحَدثانِ ونفى الشجونَ وجاء بالأشجانِ

وأقامَ بالخُلدِ البلابِلَ خُلّداً وبريبِهِ قد طالما أشجاني

أرسلت مقلتي دُموعاً غزاراً

أرسلت مقلتي دُموعاً غزاراً وحَوت أضلُعي لهيباً وناراً

وتناءى صَبري وهَل بعدَ بُعدٍ يَجِدُ الصَبُّ سلوَةً واصطِباراً

يا ديارَ الأحبابِ كان اختياري أن أراكِ المساءَ والأبكارا

ليس عَزمي رضىً وعن طيبِ نَفسِ إنّما كان بالقضاءِ اضطِرارا

واختياري أن لا أفارقَكِ الدهر ولكن لا أملكُ الاختيارا

فعَسى اللَهُ أن يَمُنّ بعودٍ وعساهُ يُطفي لهيباً ونارا

مباحثُ لو فوقَ النحور تَجَسّدَت

مباحثُ لو فوقَ النحور تَجَسّدَت لأزرت بدُرٍّ في عقودٍ وعقيانِ

جديرٌ لها طيبُ الثناءَ لو أنّها قَديمَةُ عَهدٍ أو غريبَةُ أوطانِ

حَصَلتَ على الذخائر والأماني

حَصَلتَ على الذخائر والأماني وبُدِّلَ كلٌّ خوفٍ بالأمانِ

أما قَد طُفتَ حول البيتِ سبعاً ولامَسَتِ اليَدُ الركنَ اليَماني

فليَقتَفِ الآثارَ من رام العُلا وليستَمِعِ آثارَ أحمَدَ طه

وليَغتنِم طاعاتهِ تَبِعاً فمَن يُطِعِ الرسولَ فقَد أطاعَ اللَهَ

وأيّةُ قُربَةٍ أعلى وأغلى

وأيّةُ قُربَةٍ أعلى وأغلى   من الترحالِ للبَيتِ الحرامِ

وأيّةُ زَورَةٍ تمحو الخطايا   كزَورَةِ أحمدٍ خيرِ الأنامِ

طوبى لَمَن طافَ بالبَيتِ العَتيقِ وقَد

طوبى لَمَن طافَ بالبَيتِ العَتيقِ وقَد ... لجا إلى اللَه في سرٍّ وإجهارِ

فكُلُّ من طافَ بالبيتِ العتيقِ نَجا ... حَقّاً وقد راح مَعتوقاً منَ النارِ

من قال آمينَ أبقى اللَهُ مُهجَتَهُ

من قال آمينَ أبقى اللَهُ مُهجَتَهُ لأنّ هذا دعاءٌ يَشمُلُ البَشَرا

فكَم من نِعمَةٍ في طيِّ نقمَه

فكَم من نِعمَةٍ في طيِّ نقمَه وكم من نقمَةٍ في طيِّ نعمَه

وكم مِن شِدّةٍ صارَت رخاءً وأعقَبَ ضيقُها فرَجاً ورحمَه

هذي أباطحُ مكّةٍ حولي وما

هذي أباطحُ مكّةٍ حولي وما   جمَعَت مشاعرُها من الحُرُماتِ

أدعو بها لبّيكَ تلبِيَةَ امرِىءٍ   يرجو الخلاص بها من الأزَماتِ

قلتُ المُنى بمنىً لو أني لم أخفِ   بالخَيفِ من ذَنبٍ أحال سماتي

وعَرَفتُ في عَرفاتِ أنّي ناشِقٌ   للعَفوِ عرفاً عاطرَ النسماتِ

اسمَع حديثَ الهوى يا مَن أخاطبهُ

اسمَع حديثَ الهوى يا مَن أخاطبهُ أخوكَ في الحُسنِ قد ضَلّت مَذاهِبُهُ

إن كنتَ تُنكِرُها ما أبدتُ عجائِبُهُ أنظر إلى شَعره دبّت عَقارِبُهُ

وانظر إلى ثَغرِه تزهو كواكِبُهُ

جَرّدَ أسيافَ هُدبِ اللَحظِ قاتلةً أما رأيتَ المنايا ثَمّ جائِلةً

وانظر إلى أدمعي جائَتهُ سائلةً وانظر لقامتهِ الهيفاءِ مائِلَةً

وانظر لِخَطِّ عِذارٍ حَلّ كاتِبُهُ

أمست به مُهَجُ العُشّاقِ ذائبةً من بعد ما رجَعت للَه تائبةً

فعارَضَتهم جيوشُ الشوق طالبةً لمّا استمالَ قلوبَ الخلقِ قاطبةً

جاءت تُقَبّلُ رجليهِ ذَوائبهُ

إذا لم تَطِب في طيبَةٍ عندَ طَيِّبٍ

إذا لم تَطِب في طيبَةٍ عندَ طَيِّبٍ   به طيبَةٌ طابت فأينَ تَطيبُ

وإن لَم يُجِب في أرضها رَبُّنا الدُعا   ففي أيِّ أرضٍ للدُعاء يُجيبُ

أيا ساكِني أكنافِ طيبَةَ كُلُّكُم   إلى القَلبِ من أجلِ الحبيبِ حَبيبُ

نُوَدّعكم ونودعُ اللُبّ والقَلبا

نُوَدّعكم ونودعُ اللُبّ والقَلبا لَدَيكُم أيا مَن لم يزالوا لنا قلباً

ونَسألكم أن تعذِرونا وتَسمَحوا ولا تَغدروا كلاً ولا تُكثروا عتباً

وما كان هذا البَينُ واللَهِ عن رضىً ولكنّه وصلُ نطيعُ به الربا

وفي ضمنهِ زيارَةُ المصطفى الذي لهُ خَلَقَ اللَهُ المشارقَ والغَربا

عليه صلاةُ اللهِ ما ذَرّ شارقٌ وما طَلَعت شمسٌ فَأذهَبَتِ الشُهبا

قَد عَرَفنا الخيراتِ في عَرَفاتِ

قَد عَرَفنا الخيراتِ في عَرَفاتِ وضُمِنّا من سائرِ الآفات

وظَفرنا بما أردنا وفُزنا بعُلى القُصور والغُرُفاتِ

وازدَلَفنا لربّنا وجَمَعنا كلّ خيرٍ بجمعِ مُزدلفاتِ

ولدى المشعَرِ الحرامِ شَعَرنا بقبول الأعمالِ والدعواتِ

وأرَتنا المنى منىً ولدى الخي فِ أمنّا من سائرِ الخوفاتِ

ورَمَينا الجمارَ نُطفي جمارَ الذ نبِ فاعجب للضدِّ في الجمَراتِ

وحَلَقنا فحَلّقَت حولنا كَم حلقاتٍ من أضرُبِ الخيراتِ

ثمّ طُفنا إفاضةً حول بيتِ اللَه جلّ سبعاً من الطوفاتِ

وركَعنا خلفَ المقامِ فيا حُسنَ الركوعِ هناك والسجدات

ورَجَعنا إلى منىً لتَمامِ الأمنياتِ هناك والنَيات

منزِلٌ لحماهُ تجتمعُ الأركا بُ طرّاً من سائر الساحات

قد زها وازدهى فليس له شبهٌ وما إن لحُسنهِ من موات

وتشابهت السماءُ مع الأر ض لديه في غاسق الظُّلُمات

فالسماءُ بِشُهبِها قد أضاءت والثرى بشموعها الزاهراتِ

وكيفَ يكونُ مَحجوراً عليهِ

وكيفَ يكونُ مَحجوراً عليهِ   وقَد خَلَقَ الخلائِقَ والفعِالا

فَكُلٌّ مُلكُهُ من غيرِ حِجرٍ   تعالى اللَه عن حِجرٍ تَعالى

قِبابُ قُباءٍ تلكمُ أم قَبا سَلعِ

قِبابُ قُباءٍ تلكمُ أم قَبا سَلعِ تبدّت فَشَقّت مُهجَتيّ بما سَلعِ

وذاكُم سَنا الأفراحِ حول مُفَرّحٍ تَنَقّلَ من لَمحٍ خفِيٍّ إلى لَمعِ

وهل ذاكمُ وادي العقيقِ الذي غَدا عقيقُ دموعي بَعدَهُ دائمَ الهَمعِ

ديارٌ لأحبابي الذين ألفِتهم وصرتُ بهم في عالم الذرِ ذا وَلعِ

تُرى هل ترى عَيني ثَراهُم فإنّني بِحُبّي لحبّي ذو ثَراءٍ وذو وُسعِ

ولي في مغانيهم مَعانٍ مَعانُها فسيحٌ بنا أعيى الفصيحُ منَ البُرعِ

ففيهم سكوتي إن صَمتٌّ وفيهِمُ كلامي إذا ما فهتُ بالنَظم والسجعِ

وفكري إذا فكّرتُهُ في جمالهم فهم بَصَري في العالَمين وهم سَمعي

فما لهمُ في حسنهِم من مُماثِلٍ وما ليَ في أهلِ الصبابةِ من سِلعِ

ولم لا وفيهم أحمدُ المصطفى الذي حوى كلّ أصلٍ في المحاسن أو فَرعِ

فبدرُ الدجى من نور طلعته اكتسى وسدفةُ جنحِ الليل من ذلك الفَرعِ

أغَرٌّ أزَجٌ أدعجُ العين أفلحُ الثنيّةِ أقنى الأنفِ ذو قامةٍ ربعِ

وشُكلةُ شكلِ العين زانَت بياضَها فماذا عيونُ العُفر منها أو الهُنعِ

ضَليعٌ أسيلُ الوجنتين مُقَصّدٌ إذا ما مشى ينحَطٌّ في الأرض ذا قَلعِ

حَوَت ذاتُه كلّ الكمالِ وأحرَزَت محاسِنُهُ كلّ الجمالِ بلا شِرعِ

وكم ظهرت في حَملِهِ من بَشائرِ وكم من كراماتِ الولادةِ والوَضعِ

فإيوانُ كسرى كُسّرت شُرُفاتُهُ وأركانُهُ فيها سَرَت نَسمةُ الصَدعِ

وأخمدَ نورُ أحمدٍ نارَ فارسٍ وقد أوقَدَتها ألفَ عامٍ بلا قَطعِ

وساوَةُ ساءَت إذ تَغَيّضَ ماؤها ولم يبقَ فيها من ثماد ولا نقعِ

وقيصَرُ من بُصرى تراءَت قصورُهُ فأبصرها مَن حَلّ حولَ حمى جَمعِ

وكم ظهرت من معجزات عظيمةٍ على يدهِ جلّت عن الحصرِ والجمعِ

والزِبر قال انشق في مُحكمَ الهدى ورُدّت له بوحُ مُكَمّلَةَ السَطعِ

وكلمهُ ضَبٌّ وظبيٌ وظبيَةٌ وجاءت له الأشجارُ تسجدُ عن طَوعِ

وكم راح من سَقَمٍ بلمسَةِ راحةٍ وكم كفّ ذاك الكفُّ باللَمس من صرعِ

وكم قد شَفى من كان أشفى على شَفا وأفظَعَهُ بالبُرء من ألمٍ فَظعِ

وَكَم قَد شَفى عَيناً وَجادَ بِها وَكَم غَدَت عَذبةً من ريقهِ الأعذَبَ الجَرعِ

وكم ظلّلتهُ في الفيافي غَمامةٌ وحامت أمام الغارِ وُرقيّةُ السَجعِ

وجاءته بُدنُ الهَديِ تطلبَ نسكَهُ ليَذبحها للنُسكِ مسرعةَ الوَضعِ

وكم مَيّتٍ أحياهُ في كَم قَضيّةٍ وأعظمُ من أحيا بهِ قصةُ الجِذعِ

وكم فاضَ في كم مشهدٍ بحرُ كفِّهِ فأغنى جيوشَ المسلمين عن النَبعِ

وكم مرةٍ من صاعِ تمرٍ ونَحرِهِ غدا العَسكرُ الجرّارُ مُستكمِلَ الشِبعِ

وكم من شياهٍ أرسلَت رِسلَها لهُ ودَرّت وكانت قبلُ يابسةَ الضَرعِ

وكم من بعيرٍ جاءَهُ يستكي العَنا وكثرةَ شُغلٍ دون عَلفٍ ولا نَقعِ

فأشكاهُ من شَكوى الشقاء وعاذَهُ وأعراهُ مما قَد عراهُ مِنَ الخَفعِ

أما ناولَ المختارُ عُكاشَةَ العَصا ببَدرٍ فصارت مُنصُلاً دائمَ القَطعِ

وفي أحُدٍ أحذى ابنَ جَحسٍ عسيبَهُ فأضحى حُساماً قاطعَ القَطعِ

أما سَبّحت صُمٌّ الحصى بيَمينهِ أما أخبرته الشاةُ عن سُمّها النَقعِ

أما عادَ عودٌ يابسٌ بدُعائهِ وملمسهِ مستَكمِلَ النضجِ واليَنعِ

بطالَتهُ الأبطالَ قد أبطلت فسَل حُنَيناً وبَدراً عن مصارعها الفُظعِ

ورميةُ كَفِّ النَقعِ عَمّت هوازناً جميعاً وأقذَت عينهم رميةُ النَقع

جوادٌ عطاياهُ عطايا حُلاحِلٍ خِضَمٌّ سَرِيٌّ القدرِ أريحيٌّ الطبعِ

يجودُ فلا يخشى من الفقر إذ ندي نداهُ يحاكي صوبُهُ صيِّبَ الرجعِ

وقد حاز إذ جازَ السماوات رِفعةً تقاصرَ كَم من طائلٍ دونَها مرعي

ونال العُلا لمّا علا لعَلائهِ على الأفقِ إذ أسرى به اللَه للسّبعِ

وكلّمهُ المولى كفاحاً ونال ما تمنّى بلا منٍّ هناك ولا مَنعِ

وأدناهُ منه قابَ قوسينِ فارتَقى مقاماً عظيماً لا يُحيطُ به وَضعي

وأولاهُ ما أولاهُ مولاهُ رُتبَةً تقاصرَ عنها كلُّ مستعظمٍ فرع

وقال ابنُ عباسٍ بمقلهِ رأسهِ رأي ربّهُ من غير ريبٍ ولا دَفعِ

فهذا هو المجدُ الذي نُصبَت لهُ جوازمُ برهانٍ مؤصلّةُ الرَفعِ

فيا خيرَ مبعوثٍ إلى خير أمةٍ بأعظمِ قرآنٍ وأسمحِ ما شَرعِ

أجرني أجِرني من عظيم جرائري فقد أثقلت ظهري وضاق بها ذرعي

فما لي سواك اليوم أرجوهُ شافِعٌ شفاعَتهُ تُرجى لدى الوِترِ والشفعِ

وحاشاك أن ترضى العناءَ لَمن عنا فسيحُ رجاك ذا رجاء وذا طَمعِ

إلاهي تَشَفّعنا إليكَ بأحمدٍ محمّدِك المختار في الوَترِ والشفع

أجِب دعوتي واقبَل بفضلك شكوَتي وجُد لي بمَنحٍ لا يُكَدّر بالمَنعِ

ونوّر بنورِ العِلم والحلم باطني وزِد ظاهري نورَ المعارفِ والطوع

وأصلح شُؤوني كلّها فشؤونها مخافَةَ أن تُشنا مُهَلّلةُ الدمعِ

وأمّن بمحضِ الفضلِ منك مخاوفي فيرتَع روعي روضَ أمنٍ منَ الروعِ

ووسّع إلاهي واشرَحِ الصدر بالتُقى فمن فاز بالتقوى حوى كلّ ما رَجعِ

ودائرةَ العرفانِ والرزقِ وَسّعن علَيّ وأنزِل ركبَها في حِمى رَبعي

وأغنِ فؤادي يا إلهي عن الوَرى جميعاً فلا ألقي لهم أبداً سمعي

إلاهي بكَ اشغَلني وفيك وَرُدّني إليكَ وقَرّبني فحتّى متى شَسعي

إلاهِيَ شَفّعِ في النبيّ مُحمّداً فلي ذِمّةٌ باسمي اسمه وهوُ ذو صُنعِ

إلاهيَ عامِلني وكلّ أحِبّتي بفضلك يا مولايَ فالفضلُ ذو وُسعِ

وواصل على خيرِ الأنام محمّدٍ صلات صلاةٍ واصلاتٍ بلا قَطعِ

وآلهِ والأصحابِ ما قال شائِقٌ قبابُ قُباءٍ تلكمُ أم قَبا سَلعِ

بلغنا المنى لما بلغنا إلى منى

بلَغنا المنى لما بَلَغنا إلى مِنىً وزال العَنا عَنّا فَلم نُعنَ بالعَنا

وحُصِّبَتِ الآثامُ عندَ مُحصَّب وبالخَيف زال الخوفُ عن كلِّ من عنى